مثلث التوحيد

الأنشودة الأولى

ميليبويوس : أى تيتيروس ، إنك تستلقى فى ظل الشاطىء المترامى الأطراف ، وتعزف لحن أغنية الأحراش بمزمار دقيق ، بينما نحن نرحل عن حدود بلادنا ومروجها العزيزة ، إننا منفيون عن بلادنا ، أما أنت فتجلس فى خمول بين الظلال تعلّم الأحراش كيف تردد صدى الكلمتين « أماريلس الجميلة » .

تيتيروس : اعلم يا ميليبويوس أن أحد الآلهة قد منحنى هذه الراحة ، ولذلك سيكون عندى دائماً بمثابة الإله ، وسأريق على مذبحه أبداً دم حمل صغير من حملان حظائرنا . لقد أباح لثيرانى أن ترعى كما ترى ، وأباح لى أن أعزف ما يطيب لى بمزمارى الخشن .

ميليبويوس : لست أحسدك على ذلك ، بل أعجب ، فالفوضى تعم الحقول كلها من كل صوب إلى درجة عظيمة . أنظر ، فأنا نفسى لا أقوى على أن أسوق عنزاتى إلى الأمام ، ولا أستطيع يا تيتيروس ، أن أدفع هذه العنزة أيضاً . فقد وضعت توأمين فى هذا المكان بين أشجار البندق الغليظة ، فكانا أمل القطيع ، ولكن تركتهما بكل أسف فوق الصخرة العارية . إنى أذكر أن أشجار البلوط التى صعقتها السماء كثيراً ما تنبئنى

بهذا الشر إذا لم تكن قريحتي شاردة ، ولكن خبّرني يا تيتيروس ، مَن هو إلهك هذا ؟

تيتيروس : كنت أعتقد بحماقتي ، يا ميليبويوس ، أن المدينة التي يسمونها روما تشبه بلادنا التي اعتدنا نحن الرعاة أن نسوق إليها نسل أغنامنا الهزيل . كما كنت أعلم أن الجراء تشبه الكلاب ، والأطفال الأمهات ، فتعوّدت بذلك على مقارنة الأشياء الكبيرة بالصغيرة . بيد أن هذه المدينة قد رفعت رأسها عالياً حقيقةً بين المدن الأخرى كما اعتادت أشجار السرو أن تفعل وسط أشجار الصفصاف البضة .

ميليبويوس : وماذا كان هدفك الأكبر من رؤية روما ؟

تيتيروس : إنها الحرية التي رغم مجيئها المتأخر قد وقعت شخصي الكسلان ، ورغم ازدياد بياض لحيتي كلما تخلصت منها ، غير أنها قد بجلتني وجاءت بعد مرور زمن طويل ، بعد أن فازت بي أماريلس وهجرتني جالاتيا . إنني أعترف بأني لم أكن آمل في الحرية في أثناء فوز جالاتيا بي ، ولم أكن أهتم بنقودي المدخرة ، وبالرغم من أن عدة ذبائح قد تركت حظائري ، وقد ضُغط كثير من الجبن الدسم لأجل المدينة ناكرة الجميل ، فإن يمناي لم تعد مطلقاً ثقيلة بالمال .

ميليبويوس : كنت أدهش يا أماريلس ، لم كنت تنادين الآلهة في حزن ، ولمن تركت التفاحات معلقة في أشجارها ، لقد كان تيتيروس بعيداً . لقد كانت أشجار الصنوبر هذه تناديك يا تيتيروس ، وكذلك هذه النافورات والغابات .

تيتيروس : وماذا كنت أفعل ؟ لم يكن فى استطاعتى أن أهرب من العبودية ، ولم أكن أعرف آلهة رضية هكذا فى أى مكان آخر . أما هنا فقد رأيت ذلك الفتى يا ميليبويوس ، الذى من أجله يتصاعد الدخان من مذابحنا اثنى عشر يوماً كل عام . لقد كان أول من لبّى طلبى فى هذا المكان إذ قال ، أطعموا ثيرانكم أيها الصبية كسابق عهدكم ، ارعوا ثيرانكم » .

ميليبويوس : يالك من شيخ سعيد . إذن فستبقى حقولك ملكاً لك ، وهى تكفيك . وبالرغم من أن الصخر العارى والمستنقعات ذات الأعشاب الموحلة تغطى مروجك كلها ، فلن يضير نعجاتك الحبالى طعام غريب . ولن تؤذيها عدوى خبيثة من قطيع مجاور .

ستحظى هنا أيها الشيخ السعيد ، بين الأنهار المعروفة والنافورات المباركة ، بالبرودة بين الظلال . فعلى هذا الجانب ، كما جرت العادة دائماً ، سيحثك إلى النوم ذلك السياج القائم عند التخم الذى يجاور أزهار الصفصاف التى يتغذى بها النحل الهيبلى بطنينه الخافت ، وعلى ذلك الجانب سيغنى مهذب الكروم للنسيم تحت الصخرة العالية . ولكن فى نفس الوقت لن يكف الحمام الخشبى الأجش ، موضع عنايتك ، ولا اليمام ، عن القرقرة من فوق شجرة الدردار الشامخة .

تيتيروس : إذن سرعان ما ستتغذى الغزلان الخفيفة فى البحر ، وتلقى البحار بالأسماك عارية فوق الشاطىء . سريعاً سيشرب البارثيانى من الأرار ، أو الجرمانى من تجريس . وقد هام كل على وجهه طريداً فى مقاطعة زميله ، ولن يغيب محياه عن قلبى .

ميليبويوس : أما نحن ، فسيشق بعض منا طريقه من هنا إلى الأفريقيين العطاش ، وسيذهب البعض الآخر إلى سكيثيا وإلى أوكسيس السريع الجريان فى كريت ، وإلى بريتانيا المنعزلة عن العالم تماماً .

أى ، هل لى هند ما أرى حدود بلدى بعد زمان طويل ، وسقف كهفى الحقير المغطى بالكلأ ، هل لى يوماً ما عند ما أشاهد مملكتى ، أعجب من بعض السنابل الضئيلة . هل ستؤول هذه الأراضى المحروثة جيداً إلى جندى ظالم ؟ هل سيمتلك هذه المحصولات بربرى ؟ أنظر إلى أى حال أودى الانحلال بالمواطنين البائسين ! هل كنا نزرع حقولنا لهؤلاء الناس ؟

ينبغى عليك الآن يا ميليبويوس أن تطعّم أشجار الكمثرى وتزرع الكروم فى صفوف . هيّا غنّ يا عنزاتى ، يا من كنت يوماً قطيعى السعيد. غنّ فلن أراك أبداً راقداً فى الكهف الأخضر وقد تدليت بعيداً عن إحدى الصخور المدغلة ، ولن أنشد الأغانى ، كما أنك يا عنزاتى ، لن تقرضى البرسيم المزهر أو الصفصاف المر تحت إشرافى .

تيتيروس : فى مقدورك أن تستريح معى هنا هذه الليلة فوق الكلأ الأخضر ، فعندى تفاحات ناضجات ، وأبو فروة ناعم ، وكمية كبيرة من الجبن . هاهى ذؤابات دور القرية تبعث دخانها الآن من بعيد ، والظلال العظيمة تهبط من الجبال الشاهقة .

الأنشودة الثانية

كان قلب الراعي كوريدون يشتعل حباً بألكسيس الجميلة ، محبوبة سيده ، ولم يكن يعرف ما يصبو إليه ، وكان عزاؤه الوحيد أن يذهب كل يوم وسط أشجار الزان الغليظة ذات القمم العالية المظللة وينشد هذه الأغنيات العديمة الفن للتلال والأحراش وقد ألمّ به غرام مبرح :

« أي ألكسيس القاسية ، ألا تعيرين أغنياتي اهتماماً ؟ ألا تشفقين علي ؟ إنك سوف تقودينني أخيراً إلى الموت . إن الماشية تراود الآن الظلال الباردة ، حتى العظايات الخضراء تختفي الآن في الأجمات ، وتطحن ثستيلس للحصادين ، أعشابها من الثوم والسعتر الطعمين اللذين أتلفتهما شدة الحر اللافح . ولكنني كلما أنعمت النظر في آثار أقدامك ، تطن معي الأجمات التي تلفحها حرارة الشمس المحرقة ، بصوت زير الحصاد الحاد . ألم يكن الأفضل تحمل غضب أماريلس الكئيب وترفعها المحتقر ؟ أو مينالكاس ، ولو أنه كان أسود بينما كنت أنا أبيض ؟ أواه ، أيها الفتى الجميل ، لا تثق كثيراً في لون جلدك ! إن الفاغيا البيضاء تسقط ، أما العيسران الأسود فينتقى !

إنك تزدريني يا ألكسيس ، ولا تسألين من أنا — ولا مبلغ غناي بالماشية واللبن الذي في بياض الثلج : إن لي ألف حمل تجوس خلال تلال صقلية ولا يعوزني المزيد من اللبن صيفاً أو شتاء .

إنني أغني كما اعتاد أن يغني أمفيون الدركي ، عندما كان ينادي قطعانه التي ترعى فوق أراكينثوس الأتيكي لتميت ، كما أنني لست بشع الخلقة إلى هذا الحد ، فمنذ عهد قريب رأيت وجهي في الماء وأنا على الشاطئ. وكان البحر هادئاً ساكناً بفضـــل الرياح ، ولو كنت قاضياً ما خفت دافنس (١٠٧) ما دامت المرآة (١٠٨) لا تكذب قط !

آه ، أليس لك أن تعيشي معي في حقولنا الحقيرة وأكواخنا الوضيعة ، نصيد الغزلان ونسوق قطيع العنزات إلى الخباري الخضراء . وفي الغابات ستنافسين بان وأنت برفقتي .

إن بان هو الذي علم الإنسان أن يصنع مزماراً واحداً من عدة قصبات بالشمع ، لأول مرة . فإنه يهتم بالأغنام ورعاة الأغنام . فلا تندمي إن هيجت شفتيك بقصبة ، وتعلمت نفس هذا الفن ، فما هو الذي لم يفعله أمينتاس ؟ إن عندي مزماراً من سبع قصبات من الشوكران غير متساوية ، هدية منحنيها داموبتاس ذات يوم قائلاً لي وهو يحتضر « إنها تنادي بك الآن سيداً ثانياً » هذا ماقاله داموبتاس ، فدبت الغيرة وقتئذ في نفس أمينتاس الأحمق . وعلاوة على ذلك فقد وجدت غزالتين في واد خطر يذرو البياض جلودهما ، وكانتا ترضعان أضرع نعجة مرتين في اليوم ، وإنني لأحتفظ لك بهما . ولقد ترسلت ثستيلس مراراً وتكراراً لتحصل عليهما مني ، وأظن أنها ستنالهما إذ تبدو هدايا حقيرة لك .

تعال ، أيها الصبي الجميل ! أنظر ، هاذي الحوريات تحضر لك أقفاصاً مملوءة بالزنبق ، وتقطف النيماد الجميلة البنفسج الأصفر والخشخاش ، وتخلط النرجس وحبة البركة الزكية الرائحة ، ثم تفتلها بالقثاء الهندي وأعشاب أخرى حلوة ، وتشمق العيسران الرقيق بالأقحوان الأصفر

الذهبي ، كل ذلك من أجلك ، وساجمع بيدى السفرجل الشاحب بزغبه الرقيق ، وأبا فروة الذى تحبه أماريلس . وسأضيف كذلك البرقوق الشمعى ، إذ ستحظى هذه الفاكهة بمجدها أيضاً . وسأقطعك أيضاً يا أغصان الغار ، وأنت يا أغصان أشجار الآس ، يا جاراتها ستمجان العبير الجميل فى وضعكما هذا .

أى كوريدون ، إنك فظ ! فإن ألكسيس لا تهتم بالهدايا ، ولن يستسلم أبولاس لو باريته بالهدايا . واحسرتاه ، واحسرتاه ، ماهذه الرغبة التى كانت عندى أيها الشقى ؟ أيها الأحمق ، لقدسمحت للريح الجنوبية أن تدخل إلى أزهارى ، وللخنازير أن تاكل ينابيعى البلورية ! أه ، أيها الأحمق ، ممن تهرب؟ لحتى الآلهة تسكن الأحراش ، وكذا باريس الدردانى . دع بالاس تقطن بنفسها فى المدن التى شيدتها ، ولكن دع الأحراش تكون غبطتى الرئيسية ! إن اللبؤة الكئيبة المنظر تقتفى أثر الذئب ، والذئب العنزة ، والعنزة الجائعة البرسيم المزهر . أما كوريدون فيتبعك يا ألكسيس . كل ينساق وفق ميله . انظر ، ها هى الثيران تجر المحراث إلى البيت وهو معلق بالنير ، والشمس المرتدة تضاعف الظلال المتطاولة . ولكن الحب مازال يحرق فؤادى ، أليس من حد لهذا الحب؟ آه يا كوريدون ، كوريدون ، أى جنون ألم بك؟ إن كرمتك لم يشذب غير نصفها فوق شجرة الدردار المورقة . بلى ، لمَ لا تشرع على الأقل فى جدل شىء تتطلبه حاجتك بالأغصان والحلفاء اللدنة؟ ستحظى بألكسيس أخرى إذا احتقرتك هذه !

الأنشودة الثالثة

ميناليكاس: خبّرني يا داموبتاس، قطيع من هذا؟ أهو لميليبويوس؟

داموبتاس: كلاّ، إنه لأيجون وقد تركه في رعايتي أخيراً.

ميناليكاس: أيتها الأغنام، أيها القطيع الدائم الشقاء إلى الأبد، بينما يتملق صاحبك نيبراس مخافة أن تفضل عليه، يحلب هذا الحارس الآكارى الأغنام مرتين في الساعة، وبذا يسرق ماء الحياة من القطيع، واللبن من الحملان.

داموبتاس: لا تنسى ألاّ تقذف بمثل هذه السباب قوماً أكثر تدبيراً.

ميناليكاس: أظن عند ما رأوني أقطع أشجار وكروم ميكون الحديثة النبت بمنجل شرير.

داموبتاس: أو هنا بجانب الشاطىء العتيق عند ما حطمتَ قوس وسهام دافنس، لقد حزنتما يا ميناليكاس المتمرد، عند ما أبصرتما هذه الأشياء تعطي للصبي، وكدت تموت إن لم تلحق به أي أذىً بأي سبيل.

ميناليكاس: وماذا يستطيع أن يفعل أصحاب الأملاك وقد بلغ اللصوص شأواً عظيماً من الجرأة؟ ألم أرك يا أسوأ الناس طراً تكمن لتسرق عنزة داموبتاس وقد نبح ليكسكيدا نباحاً عالياً، وعند ما صرخت منذراً قائلاً «إلى أين يجري ذلك الرجل؟» «اجمعْ قطيعك يا تيتيروس» اختبأت وراء الحشائش.

داموبتاس : ماذا تقول ، ألا يجب عليه ، وقد غلبته فى العزف أن يعطينى العنزة التى ربحها مزمارى بألحانه ؟ يجوز أنك لا تعرف ذلك ، ولكن تلك العنزة من حقى ، وقد تنازل عنها لى داموت نفسه ، ولكنه قال إنه لا يمكنه أن يسلمنى إياها .

مينالكاس : هل تفوقت عليه فى الغناء ؟ أو هل كان لك يوماً ما قصبة موصولة بالشمع ؟ ألم تكن عادتك أيها الأحمق أن تفسد أغنيتك الحقيرة بقشتك الناعقة عند ملتقى الطرق ؟

داموبتاس : أتريد إذن أن يجرب كلانا ما يستطيع إنشاده ؟ سأراهن بهذه البقرة كيلا ترفض ، إنها تحلب مرتين وترضع عجلتين صغيرتين . خبرنى بماذا تراهن على منافستى ؟

مينا لكاس : لا أستطيع المراهنة برأس من القطيع ، ففى البيت والد وزوجة أب قاسية يعدّان القطيع مرتين فى اليوم ويعدّ أحدهما الجداء كذلك ، ولكنه طالما أنه يطيب لك أن تكون مخبولاً ، فسأراهن بما ستعرف أنت أنه شىء أعظم بكثير ، سأراهن بكأسين من خشب الشاطىء ، من صنع ألكيميدون المقدس ، منقوش عليهما كرمة لدنة مطروحة بمخرطة ماهرة تكسو العناقيد المبعثرة بجانب اللبلاب الأصفر . وفى الوسط صورتا كانون و . . . من كان الآخر ؟ الذى عين للناس بعصاه السموات برمتها وماهى فصول الحاصد والحارث والمعقوف الظهر ؟ لم تمتد شفتى إليها حتى الآن ولكننى أحتفظ بهما .

داموبتاس : لقد صنع لى ألكيميدون هذا ، كأسين أيضاً وأحاط مقبضيهما بالكنكر الناعم ، ووضع أورفيوس فى الوسط تتبعه الأحراش .

لم أستعملهما بعد ولكننى أدخرهما . ولو نظرت إلى بقرتى ما كان هناك حاجة لتمدح الكؤوس .

مينالكاس: لن تنجو منى اليوم أبداً ، سأحضر إلى حيث تناديني، ولكن دعه فقط يصغى إلى هذا . صه . ها هو ذا پالايمون ، إنه قادم إلينا ، سأبذل كل جهدى ولسوف أجعلنك لا تتحدى أحداً بعد اليوم بصوتك هذا .

داموبتاس : إذن هيّا ، إن كان عندك شيء . فلن أحجم . إننى لا أهرب من أحد . فقط ، عليك أيها الجار پالايمون ، أن تهتم بالأمر وتعيره أشد عنايتك ، فإنه غاية فى الأهمية .

پالايمون : انشدا ، ما دمنا نجلس سويا فوق الكلأ الناعم . فإن الحقول كلها والأشجار جميعها تحمل البراعم الآن ، والأحراش مورقة ، والفصل من أجمل ما يكون الآن .

ابدأ يا داموبتاس وأنت من بعده يا مينالكاس، ستنشدان بالتبادل فإن ربات الغناء يحببن أغانى التبادل .

داموبتاس : سأبدأ بجوپيتر يا ربات الغناء ، فكل شيء زاخر بجوپيتر ، إنه يرعى الأرض ويهتم بأغنياتى .

مينالكاس : أما أنا فيحبنى فيبوس ، إن فيبوس يجد هداياه دائماً معى ، من الغار والكشكر الجميل الأحمر .

داموبتاس : تقذفنى جالاتيا بتفاحة ، فيالها من مشاكسة ، ثم تجرى نحو الصفصاف وتود أن تُرى أولا .

مينالكاس : ولكن حبّ أمينتاس يقدم لى نفسه عن طيب خاطر ، حتى أن كلانى لم تعد تعرف ديليا .

داموبتاس : لقد وجدت هدايا لحبى ، لقد لاحظت بنفسى المكان الذى بنت فيه اليمامات عشها عالياً فى الفضاء .

مينالكاس : لقد فعلت ما أقدر عليه ، فأرسلت إلى فتاى عشر تفاحات عسجدية قطفت من إحدى أشجار الغابة ، وباكراً سأرسل إليه بعشر أخر .

داموبتاس : أى ، لكم كلمتنى جالاتيا ، وبأى كلمات تحدثت إلى ، احملى بعضاً منها أيتها الرياح العوالى إلى آذان الآلهة .

مينالكاس : وما فائدة أنك لا تنبذنى شخصياً فى قلبك يا أمينتاس ، إذا كنت عندما تصيد الخنازير ، أحرس أنا الشباك .

داموبتاس : ارسل إلى فيلّسس ، يا أ يولاس ، فهذا يوم ميلادى ، ومتى قدمت عجلاً ذبيحة للمحاصيل ، تعال إذن بنفسك .

مينالكاس : أحب فياس أكثر من غيرها ، لأنها بكت عند رحيلى وانطلقت تقول ببطء « وداعاً أيها الفتى الجميل ، وداعاً يا أ يولاس » .

داموبتاس : إن الذئب شر على الحظائر ، والأمطار على الفاكهة الناضجة ، والرياح على الأشجار ، وغضب أماريلس على .

مينالكاس : إن الرطوبة مفيدة للحبوب ، وأشجار التوت للجداء المفطومة ، والصفصاف اللدن للقطيع الحامل وأمينتاس وحده لى .

داموبتاس : إن بوليو يحب شعرى رغم خشونته ، فيا ربات الشعر البيريات أطعمن عجلاً لأجل قارئكن .

مينالكاس : إن بوليو نفسه يصنع أغنيات جديدة ، أطعمن ثوراً ينطح بقرنيه ويبعثر الرمال بحوافره .

داموبتاس : ليت من يحبك يابوليو ، يصل إلى ما سره أنك قد وصلت إليه أيضاً ، تربة تخرج لبناً وعسلاً ، وليت الدغل الشائك يحمل بلسماً .

مينالكاس : ليت من لا يمقت بافيوس ، يحب أغنيتك يامايثيوس وليته كذلك يضع الثير على أعناق الثعالب ، وليته يحلب التيوس .

داموبتاس : أيها الصبيان ، أنتم يا من تقطفون الأزهار والتوت النامى فوق الأرض ، اهربوا من هنا فالثعبان البارد مختبىء فى الكلأ .

مينالكاس : لا تذهبى أيتها الأغنام بعيداً جداً ، فلا خير فى الثقة بالشاطىء . إن الكبش نفسه يجفف جزته .

داموبتاس : يانيتيروس ، ابعد أغنامك التى ترعى ، بعيداً عن النهر فسأغسلها جميعها فى النبع بنفسى عندما يحين الوقت .

مينالكاس : اجمعوا شتات أغنامكم أيها الغلمان ، إذ لو وصل اللظى إلى اللبن كما حدث أخيراً ، فلا فائدة من أن نعصر الضروع بأيادينا .

داموبتاس : وا أسفاه ، وا أسفاه ، ما أشد تحول ثورى فى الجلبان النزير ، والحب عينه هو خراب القطيع وسيده .

مينالكاس : أما عن هؤلاء ، فطبعاً ليس الحب هو السبب ، فهى تكاد تكون جلداً على عظم . إن عيناً شريرة قد حسدت حملانى الصغار .

داموبتاس : لو أخبرتنى أين تمتد السماء أكثر من ثلاثة أذرع ، جعلتك عندى بمثابة أبولو العظيم .

مينالكاس : لو أخبرتنى أين تنمو الأزهار المكتوب عليها أسماء الملوك أمكنك أن تحتفظ بفيلس لنفسك .

پالايمون : لست أنا الذى سيفصل بينكما فى مثل هذه المنافسة العظيمة . أنت تستحق البقرة كما يستحقها هو أيضاً ، وكل من سيهاب حلاوة الحب أو يذوق مرارته ، أغلقا القنوات الآن يا هذان الصبيان فإن المروج قد أُرْوِيَت بما فيه الكفاية .

الأنشودة الرابعة

هيا يا ربات الشعر الصقليات (١٠٩) ننشد أغنيـة أكثر سمواً . إن الغابات والأثل الوضيع لا تسر الجميع . فإذا ما ترنمنا بالغابات ، فلتكن الغابات تليق بقنصل .

إن عصر الأغنية الكيمونية الأخير قد أتى .

لقد وُلد من جديد نظام عظيم من الأجيال .

إن العذراء (١١٠) تعود الآن ، ويرجع حكم ساتورن (١١١) ، ويهبط جيل جديد الآن من السماء العالية . رفقاً بالصبي عند مولده يا لوكينا (١١٢) الطاهرة ، إذ بمجيئه سينمحي العصر الحديدي ويشرق العصر الذهبي على ربوع العالم بأسره . إنه أپولو الذي يحكم الآن ، وفي إبان قنصلينك ، حتى هذه ، ياپوليو ، سيبدأ مجد هذا العصر ، وستبدأ الشهور العظيمة دورانها . وستتلاشى بقيادتك جميع معالم جريمتنا ، وسيتخلص العالم من خوفه السرمدي .

ستكون له حياة الآلهة ، وسيرى أبطالاً مختلطين بالآلهة وسيرونه شخصياً بأعينهم ، وسيتولى حكم عالم عاد إلى السلام بخصال أبيه الحميدة .

ستخرج لك الأرض يا ولدي باكورة غلتها دون عناء ، ستخرج اللبلاب الشارد ، وزهر الكشاتبين والبسلة المصرية مختلطة بالكنكر الباسم .

ستعود المنزات من تلقاء نفسها إلى البيت وأضرعها مملوءة باللبن ، ولن تخشى الماشية الأسود الكبيرة ، وسينتج لك المهد ذاته أزهاراً ملاطفة .

وسيفنى الثعبان وكذا العشب السام المخادع . وسينمو البلسم الأشورى فى كل مكان .

بيد أنه حالما تستطيع أن تقرأ أعمال الأبطال الذائعى الصيت ، وأفعال أبيك ، وتقدر أن تدرك ماهية الفضيلة ، سيبدو الوادى رويداً رويداً ، أصفر بلون سنابل القمح المتموجة ، وستدلى عناقيد العنب الحمراء من النسيج البرى وستنتج أشجار البلوط الصلبة شهداً ندياً .

غير أن بعض آثار جريمتنا القديمة ستظل قائمة ، فتسوق الناس إلى عبور ثيتيس(١١٣) على ظهر السفن ، وإلى إحاطة المدن بالأسوار(١١٤) ، وإلى شق الأخاديد فى التربة(١١٥) . وسيكون هناك إذن تيفيس(١١٦) آخر وأرجو أخرى لتحمل الأبطال المختارين . وستكون هناك كذلك حروب أخرى من جديد ، وأخيل آخر عظيم يُبعث إلى طروادة من جديد .

وعندما تصل إلى سن الرجولة وتصبح قوياً ، سيهجر التاجر نفسه البحر ولا تنقل السفينة الصنوبرية الخشب البضائع من مكان إلى مكان لأن الأرض ستنبت كل شىء فى جميع بقاعها .

ولن تعانى التربة آلام الفأس ، ولن تشعر الكرمة بالمنجل المشذّب . والآن كذلك سيخلص الفلاح القوى الثيران من النير ، ولن يتعلم الصوف تزييف الألوان المتباينة ، ولكن الكبش ذاته سيغير جزته فى الحقول ، تارةً إلى اللون الأحمر القرمزى الجميل ، وطوراً إلى اللون الأصفر الزعفرانى ، وسيكسو الزنجفر من تلقاء نفسه الحملان وهى ترعى .

« أسرعى أيتها الأجيال المباركة » هكذا قالت إلى مناولها ربات الحظ (١١٧) المتفقات على قدر ثابت مرسوم . « أشرع فى أمجاد عظيمة »

فستحين الساعة قريباً يا عزيز نسل الآلهة ، يا سليل چوپيتر العظيم .

أنظر إلى الكون بقبته الهائلة ، وإلى الأرض وعرض البحر ، إلى أغوار السماء وكيف تهتز وتتزلزل ، أنظر كيف تطرب سائر الأشياء بقدوم الجيل الجديد .

ليت الجزء الأخير من مثل هذه الحياة الطويلة يبقى لى ، وما يكفى من الوحى لتقص أعمالك عندئذ لن يتفرق سدى فى الفضاء أورفيوس (١١٨) الثراقى ، ولا حتى ليفوس (١١٩) . سيدنا أن الأم تساعد أحد الأبناء ، والأب يساعد الآخر ، فسلفه كاليوبا (١٢٠) أورفيوس ، وأپولو الجميل يساعد ليفوس . كذلك سيعترف بان بالهزيمة لو تبارى معى تحت حكم أركاديا (١٢١) .

ابدأ إذن أيها الفتى الصغير ، أن تتلقى أمك بابتسامة . لقد أعيتها عشرة شهور طوال . ابدأ أيها الفتى الصغير ، يامَن يبتسم إليه والداه ولم يهجله رب بمضدته ولا ربة بمخدعها .

الأنشودة الخامسة

مينالكاس : حيث قد تلاقينا يا موپسوس ، وكلانا من الأخيار المجيدين، أنت فى العزف على القصبات الرقيقة، وأنا فى إنشاد الأشعار . فلماذا لا نجلس وسط أشجار الدردار هذه التى تختلط بأشجار البندق ؟

موپسوس : أنت تكبرنى سناً يا مينالكاس ، وجدير بأن أحترم آراءك ، فمن اللائق أن أطيعك ، وسيان عندى لو سرنا فى الظلال التى تتغير بإشارة زفيروس ، أو جلسنا بجانب الكهف . انظر ، كيف كست الكرمة البرية الكهف بعناقيدها الشاردة .

مينالكاس : ليس لك منافس بين تلالنا غير أمينتاس .

موپسوس : وماذا يضير لوكان يبارى فيبوس أيضاً من أجل جائزة الغناء ؟

مينالكاس : فلتبدأ أولاً يا موپسوس ، إن كان عندك أية أغنيات عن نيران فياس ، أو فى مدح السكون ، أو فى تعيير كوريدون . إبدأ ، فسيحرس تيتيروس الجداء وهى ترعى .

موپسوس : بلى ، سأحاول غناء هذه الأبيات التى نقشتها فى ذلك اليوم على شجرة الزان الخضراء ثم لحنتها موسيقياً معلماً الكلمات واللحن كذلك ، فهل تأمر أمينتاس بعدئذ أن يبارينى !

مينالكاس : إن أمينتاس يستسلم لك بقدر ما يستسلم الصفصاف اللدن للزيتون الشاحب ، وبالقدر الذى تستسلم به القصبة الكئيبة الحقيرة

للفراشة الوردية القرمزية . بلى ، لاتقل شيئاً أكثر من ذلك أيها الصبي، لقد سرنا إلى داخل الكهف .

موبسوس : لقد بكت الحوريات دافنس بعد أن اختطفته يد الموت الكريه — اشهدي على الحوريات يا أشجار البندق، وأنت أيتها الأنهار — وعند ما أمسكت الأم جسد ابنها الساكن صرخت على شدة قسوة الآلهة والنجوم في تلك الأيام يا دافنس، لم يسق أحد الأبقار التي كانت ترتع إلى المجاري الباردة، ولم يذق حيوان من ذوات الأربع مياه جدول كما أنه لم يلمس ورقة من الحشيش. أي دافنس، إن الجبال الموحشة والأحراش تخبرنا أن الأسود الأفريقية قد بكت على موتك أيضاً .

إن دافنس هو الذي علم الناس استئناس النمور الأرمينية تحت وطأة العربة، ومزاولة رقصات بكهوس ولف الأوراق الليئة حول السهام الصلبة. إنك وحدك تعطي المجد لقومك كما تعطي الكرمة المجد للأشجار، والعنبة للكروم، والثور للقطيع ، والقمح للحقول الخصبة . فمذ خطفتك ربات الحظ ، هجرت پاليس نفسها حقولنا، وكذلك أپولو . فغالباً في الأخاديد التي عهدنا إليها بحبات الشعير الكبيرة، ينمو الزوان العديم الفائدة، وكذلك عيدان الشوفان العاقرة . فينمو الحسك والشوك الحاد الأسنة بدلاً من البنفسج الناعم والنرجس البراق. انثروا الأوراق في المروج يا أيها الرعاة، وظللوا الينابيع فإن دافنس يطلب إليكم أن توفوه هذه الأمجاد، وابنوا له قبراً واكتبوا على القبر هذا البيت الشعري . «لقد كنت أنا دافنس معروفاً بين الأشجار والأحراش، من هذا المكان إلى النجوم. لقد كان جميلاً ذلك القطيع الذي كنت أحرسه، ولكنني أنا السيد ، كنت أكثر جمالاً . »

مينالكاس: إن أغنيتك أيها الشاعر المبجل، تقع في نفسي موقع النوم على

الكلأ فى نفس من أنهكه التعب ، وإرواء العطش فى حر الصيف القائظ من ساقية دائرة بالماء العذب فى نفس الظمآن. إنك لا تنافس سيدك فى المزمار وحده ، بل وفى الصوت أيضاً. ستكون خليفته الآن أيها الصبى السعيد . ومع ذلك فسأنشدلك بدورى هذه الأغنية التى قد تكون ضعيفة إلا أننى سأرفع بها دافنس إلى النجوم ، سأرفع دافنس إلى النجوم ، فقد أحبنى دافنس أيضاً .

موپسوس : أى هدية يمكن أن تكون فى نظرى أعظم من هذه ؟ فليس الغناء نفسه جديراً بأن يُستغنى به ، ولكن ستيميخون قد قرّظ لى أغانيك هذه منذ أمد بعيد .

ميناليكاس . يعجب دافنس بجماله الوضاح من عتبة السماء الشاذة ، ويرى السحب والنجوم تحت أقدامه ، لذلك يحل فرح مشعر على الأحراش وسائر أنحاء القطر . وعلى بان وارعاء والمذارى الدريادیات . لا يحيك الذئب كميناً للقطيع ، ولا تنصب الشباك أخاخاً للغزلان . فإن دافنس الحنون يحب السلام ، وتبعث الجبال نفسها مع الأحراش المشجرة أصواتها فى فرح نحو النجوم . إن الصخور نفسها ، والغابات ذاتها تردد هذه الأغنية ، إنه إله يا ميناليكاس ، إنه إله . كن غفوراً ورحيماً بنفسك ! انظر ، هاك أربعة مذابح — إثنان لك يا دافنس ، وإثنان لفيبوس ! — سأقدم لك كل عام كأسين تفيضان باللبن الطازج ، وكذا طاسين ملوءين بزيت الزيتون الثمين ولكى أجعل العيد يزخر بالفرح والمرح ، سأهتم أولاً أن أصب ، فى الشتاء أمام الموقد وصيفاً فى الظلال ، شراب الخمر الحيانى الطازج ، من الكؤوس. وسيغنى لى داموتاس وأيجون الليكتيانى ،

وسيحاكى ألفيسيبويوس السائر الراقصة .

« ستكون لك هذه الطقوس إلى الأبد ، عندما نقدم نذورنا السنوية للحوريات ، وعندما نطهر حقولنا . فطالما أن الخنزير يحب قمم الجبال ، والأسماك الأنهار . وطالما أن النحل يتغذى بالسعتر ، وزير الحصاد بالندى ، سيبقى شرفك واسمك وأمجادك . وكما يوفى الفلاحون نذورهم لبكهوس وكيريس كل عام ، سيوفون لك أيضاً النذور سنوياً . وستقيدهم أنت أيضا بنذورهم هذه » .

موپسوس : بربك قل لى ماذا يمكننى أن أقدمه لك من الهدايا لقاء أغنية كهذه ؟ فما من سحر كهذا يحدثه لى خفيف الريح الجنوبية التى تهب بنسيمها العليل ، ولا بلاطم الأمواج على الشاطىء ، ولا خرير المياه فى الأنهار التى تنحدر إلى أسفل بين الأودية الصخرية .

مينالكاس : سأمنحك هذه القصبة اللدنة أولاً ، فقد علمتنى « كوريدن يتحرق شوقاً من أجل الكسيس الجميلة » . وقد علمتنى أيضا « مَن يملك القطيع ؟ أيملكه ميليبويوس ؟ » .

موپسوس : هل لك يامينالكاس أن تتقبل عصا الراعى التى لم يفز بها أنتيجينيس رغم طلبها منه مراراً عدة ، وكان يستحق حبى فى تلك الأيام — إنها عصاً حسنة ذات عُقد ، ومطلية بزنبق .

الأنشودة السادسة

فى البدء حسبت ربات الشعر أنه يليق بها أن تلهوا بشعر سيرا كوزى ، ولم تخجل ثاليا (١٢٢) من سكنى الأحراش ، وعندما كنت أترنم بذكر الملوك والحروب ، شدّ كينثيوس أذنى وأوهى عزيمتى قائلاً ، « تيتيروس ، للراعى أن يطعم أغنامه السمينة ، ولكن عليه أن ينشد أغنية رقيقة » .

ڤاروس ، حيث أنك ستحظى بعدد غير قليل ممن يرغبون فى التغنى بمدحك وتناول الحروب المحزنة ، فسأنشد الآن أغنيـــة ريفية على مزمارى الرقيق . فإنى لا أغنى بدون استئذان .

بيد أنه إذا ما قرأ هذه الأبيات أيضاً شخص محب ، ستتغنى باسمك ياڤاروس (١٢٣) طرفائى ، كما ستتغنى الغابة كلها عنك . فلا أعز عند فيبوس من تلك الصفحة التى تُزيَّنت باسم ڤاروس .

هيا أيتها الأخوات البيريات (١٢٤) ، لقد شاهد الولدان خروميس ومناسيلوس ، سيلينوس (١٢٥) راقداً فى كهف وقد انتفخت شرايينه كالمعتاد بخمر الأمس ، وبجانبه أكاليله وقد سقطت من على رأسه ، وقدح الشراب وقد تدلى من مقبضه العتيق .

عندئذ اقترب منه الصَّبيَّان ــ لأن الشيخ كثيراً ما خدعهما وبخل عليهما بأغنية ، فقيداه بسلاسل من أكاليله . وقدمت أيجلى وجعلت

نفسها حليفة للولدين الخائفين وساعدتهما . أيجلى[١٢٤] ربة النهر الرائعة الجمال ، فلطخت بعصير التوت الأحمر جبين وجبهة سيلينوس وكان قد استيقظ من نومه . فقال ساخراً من تلك الحيلة « إلى متى تفتلان السلاسل؟ » .

« أطلقا سراحي يا هذان الصبيان ، كفى أنكما استطعتما عمل هذا ، فاسمعا الآن الأغنيات التي تطلبانها . سيكون جزاء كما الأغنيات ، وسيكون لها جزاء من نوع آخر » .

حينئذ يبدأ الحكيم يغني ، وإيم الحق كان يمكنك أن ترى فاونوس والحيوانات المفترسة وهي تلهو وترقص على نغمات لحنه ، وأشجار البلوط الصلبة تهز رؤوسها طرباً . إن الصخرة البرناسية[١٢٥] لا يطربها فيبوس كثيراً ، ولا يعجب أورفيوس برودوبي[١٢٦] وإسماروس[١٢٧] كثيراً . فقد أنشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والبحر والهواء والماء النارى[١٢٨] قد جمعت سوياً في الفضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه العناصر الأولى جميع الأحوال ، وكيف تحجرت وتصلبت الأرض الصغيرة السن في جميع أنحاء العالم . ثم كيف عكفت بعد ذلك على تحجير الكرة الأرضية وحجز نيريوس[١٢٩] في البحر ، وكيف اتخذت سائر الأشياء أشكالها رويداً رويداً ، وكيف تعجب الأرض الآن من الشمس الجديدة التي تشرق عالياً ، وكيف تهطل الأمطار من السحب الشاهقة . ومتى تبدأ الغابة في الظهور ، والحيوانات القادرة في التجول فوق الجبال التي لا تعرفها .

ومن ثم سيشير إلى الصخور التي أنقتها بيرها[١٣٠] ، وإلى حكم ساتورن ، وإلى الطيور القوقازية وإلى سرقة بروميثيوس[١٣١] . أضف

إلى هذا ، الينبوع الذى تُرك عنده هيلاس(١٣٢) والبحارة تنادى عليه حتى دوّى الشاطىء من أوله إلى آخره بصدى كلماتهم « هيلاس ، هيلاس » .

ثم يعزى پاسيڤاى(١٣٣) فى حبها لثور أبيض ، پاسيڤاى السعيدة إن لم توجد القطعان . واحسرتاه أيتها العذراء الشقية ، أى جنون أصابك ؟ لقد ملأت بنات پرويتوس(١٣٤) الحقول بزئيرهن الزائف ، ولكن مع ذلك لم تَسْع واحدة منهن إلى ارتباط أحمق كهذا ، فى حين أنهن كُنَّ يخشين على أعناقهن من النير ، وكثيراً ما سعين لتكون لهن قرون فى جباههن الناعمة . وا أسفاه أيتها العذراء الحمقاء ، إنك الآن تهيمين على وجهك فوق الجبال بينما يرتع ذلك الثور جانبه البارد كالثلج فوق الحلحل الناعم يرعى الكلأ الأصفر تحت شجرة السنديان القائمة . أو إنه يقتفى أثر إحدى بقرات القطيع الكبير . أغلقى أيتها الحوريات ، يا حوريات ديكتى(١٣٥) ، أغلقن سبل الغابة ، فقد أبصرت آثار حوافر الثور الهائم ، معادفة . ومن يدرى ، فربما تسوقه بعض البقرات إلى حظائر جورتينا(١٣٦) وقد أغواها الكلأ الأخضر أو فى إثر القطعان .

ثم يغنى عن العذراء التى أذهلتها تفاحات الهسپريديات(١٣٧) . وبعدئذ تحيط أخوات نايثون(١٣٨) بطحالب مُرّ اللحاء وتقيمون من الأرض أشجار حور روى شامخة .

بعد ذلك ينشد كيف قادت إحدى الأخوات(١٣٩) ، جالوس(١٤٠) ،

إلى الجبال الأونية (١٤١) ، وكان قد ضل الطريق بجانب أنهـــار برميسوس (١٤٢)، وكيف نهضت جوقة فيبوس(١٤٣) كلها أمام الرجل ، وكيف خاطبه الراعي ليتوس صاحب اللحن المقدس وقد توج شـعره بالأزهار والبقدونس المرّ قائلاً: إن ربات الغناء يمنحنك هذه المزامير ، صه ، خذها فهي المزامير التي منحنا ذات يوم إلى شيخ (١٤٤) أسكرا ، فاعتاد بغنائه عليها أن يجعل أشجار لسان العصفور تتبعه من أعلى الجبل إلى أسفله . فلتغنّ بهذه المزامير عن مصدر غابة جرينيا (١٤٥) حتى يتباهى أپولو بهذه الغابة أكثر من غيرها

ولماذا سأتحدث عن سكيلا (١٤٦) ، ابنة نيسوس(١٤٧) ، التي روت الأسطورة أنها أزعجت بوحوشها النابحة المتنة حول خصرها الأبيض الناصع ، السفن الدليكية (١٤٨) ، ثم مزقت بكلاب بحرها البحارة المذعورين في دوامة عميقة الغور ، وكيف وصف تغيُّر أعضاء تيريوس ، وأي الولائم والهدايا أعدتها له فيلوميلا(١٤٩)، وكيف هربت إلى الصحارى، وبأي أجنحة حلّقت فوق بيتها ، يا لها من تعيسة ؟

لقد تغنى بجميع ما كان ينشده فيبوس ذات يوم وسمعت يوروتاس(١٥٠) السعيدة فأمرت أشجار الغار التي تملكها أن تحفظها عن ظهر قلب ، عندئذٍ حملت صداها الوديان إلى النجوم العالية ، وظل ينشد حتى أمر نجم المساء(١٥١) أن تقاد الأغنام إلى حظائرها ، ويُحسبَ عددها ثم تقدّم وسط سماء متذمرة .

الأنشودة السابعة

ميليبويوس : حدث بالصدفة أن جلس دافنس تحت شجرة سنديان باسقة ، بينما كان كوريدون وثيرسيس يسوقان قطيعيهما سوياً — وكان مع ثيرسيس خرافه ، ومع كوريدون عنزانه التي تعج أضرعها باللبن — وكلاهما في ربيع الحياة .

كانا أركاديين، وقد استعدا للنزال في الغناء ، وكذا في الأخذ والرد .

كنتُ في ذلك المكان أحمي آساتي البضة من الصقيع، فتخلف تيس عن القطيع ، وكان سيِّد القطيع بأسره ، وإذا بي أرى دافنس الذي ما كاد يبصرني حتى صاح قائلاً : أسرع يا ميليبويوس ، تعال إلى هنا ولا تخف على عنزاتك أو جدانك فإنها في أمان ، وإذا كنت تستطيع التلكؤ قليلاً ، فاسترح بربّك تحت الظلال . إلى هنا في هذه المروج ستسعى غزلانك من تلقاء نفسها للشرب . هنا يزخرف مينكيزس(١٥٢) شواطئه الخضراء بالأعشاب الناضرة المتماوجة ، وتتزاحم أسراب النمل التي تدوي في الفضاء بطنينها ، من شجرة البلوط الجوفاء . .

ماذا كان عساي أن أفعل ؟ لم يكن معي ألكيبي أو فيلس ليراقبا حملاني المسرّحة حديثاً أثناء سيرها إلى المبيت . وكانت المباراة — مباراة كوريدون ضد ثيرسيس — مباراة قوية ، ومع ذلك اهتممت بمباراتهم قبل عملي فشرع الإثنان يتباريان في أشعار المبادلة ، إذ كانت ربات

الفن يلذ لهن ترديد الأشعار المتبادلة . كان كوريدون يردّد هذه ، وثيرسيس تلك بدوره .

كوريدون : يا حوريات ليبثروم[١٥٣] ، يا حبيباتى ، هبنى أغنية كتلك التى وَهبتُنَّها لكودروس — إن القصائد التى يصنعها تقارب كثيراً قصائد فيبوس — أو إذا لم يكن فى مقدورنا كلنا مثل هذه القوة ، فيستدلى مزمارى المطرب ، هنا على شجرة الصنوبر المقدسة .

ثيرسيس : يا رعاة أركاديا . توّجوا مغنّيكم الناشىء بالعليق كى تشتعل نار الحقد بين جنبات كودروس ، أما إذا قرظنى دون ما استحقاق ، فتوّجوا جبينى بالجرسة خشية أن يؤذى لسانه الشرير الشاعر المقبل .

كوريدون : إليك ، ياديليا[١٥٤] ، يقدم ميكون رأس هذا الخنزير الكث الشعر ، وقرون غزالة معمرة متشعبة . فإن بقيت هذه الثروة ، فستقف بكامل طولك فى رخام مصقول يحيط بعقبيك إلى فوق أخفاف أرجوانية .

ثيرسيس : لا تتوقع سنوياً يا پريابوس[١٥٥] ، أكثر من قدر من اللبن وبضع كعكات ، إذ أن الحديقة التى تحرسها فقيرة . إنك الآن مؤقتاً من المرمر ، أما إذا أتى القطيع بإنتاج عظيم من الحملان ، فسنجعلك من الذهب .

كوريدون : جالاتيا ، يا ابنة نيريوس ، يا ممن عندى أحلى من سعتر هيبلا[١٥٦] ، وأنصع بياضاً من البجعات ، وأحب من العليق الأصفر . إن كنت تكنّين أى حب لكوريدون ، فتعال عند ما تعود الثيران من المروج إلى حظائرها .

ثيرسيس . بلى ، سأبدو لك من الأعشاب السردونية (١٥٧) ، وأظلف من الوزّال ، وأتفه من عشب البحر المطروح جانباً ، لو أنني لاأجد هذا اليوم أطول من عام بأكمله. هيَّا إلى البيت ياغزلانى المعلوفة جيداً ، إلى البيت إن كان عندك أى شعور بالخجل !

كوريدون : يا أيتها الينابيع المعشوشبة ، ويا أيها الكلأ الأرق من النوم ، والقطب الأخضر الذى يحميك بظله الضئيل ، أبعدوا لظى الظهيرة عن قطيعى . فالآن يأتى لفح الصيف ، والآن تنتفخ البراعم على المحلاق البهيج .

ثيرسيس : تملك هنا مرقداً وجاراً حالكى السواد ، هناتستعر دائماً نار حسنة وقوائم أبواب سوداء بسناج لا ينفذ أبداً . هنا نهتم كثيراً بهبات بورياس(١٥٨) الباردة كما يهتم الذئب بعدد الخراف أو التيارات المتدفقة على شواطئها .

كوريدون : هنا تقف أشجار العرعر وأشجار القسطل الكثيفة ، وقد تناثرت ثمارها هنا وهناك بألوانها المتباينة . إن الطبيعة كلها تبتسم الآن ، بيد أنه لو تركت ألكسيس الجميلة هذه التلال ، لأبصرت هذه الأنهار بعينها جافة .

ثيرسيس : لقد يبس الحقل ، وظمأ الكلأ حتى أنه يموت فى الهواء السام كما حرّم باكوس التلال من ظلال كرومه : غير أنه بمجىء عزيزتى فيلس ، ستكتسى الغابة كلها بالخضرة وسيهبط جوبيتر بكامل هيبته فى رذاذ بهيج .

كوريدون : شجرة الحور عزيزة جداً عند ألكيديس ، والكرمة

عند بكهوس . وشجرة الآس عند ڤينوس الجميلة ، والغار عند فيبوس . وتحب فيلس أشجار البندق ، وطالما أن فيلس تحب هذه الأشجار ، فلا شجرة الآس ولا شجرة غار فيبوس ستبذ أشجار البندق .

ثيرسيس : ماأجمل شجر لسان العصفور وسط الأحراش ، والصنوبر فى الحدائق ، والحور بجانب الأنهار ، والشوح فوق قمم الجبال ، ولكنك لو زرتنى ياليكيداس الفاتنه ، سوف تستسلم لك شجرة لسان العصفور فى الأحراش وكذا شجرة الصنوبر فى الحدائق .

ميليبوس: إنى أذكرهذا ، وكيف هُزم ثيرسيس وتأضل دون جدوى . فمنذ هذا اليوم ، هو كوريدون ، كوريدون الذى معنا .

الأنشودة الثامنة

إنها أغنية الراعيين دامون وألفيسيبويوس التي أعجبت العجلة بنزاعهما وقد غابت المروج عن فكرها . وسحرت أغنيتها الوشق ، وجمدت مياه الأنهر المتغيرة في مجاريها . إنها أغنية دامون وألفيسيبويوس التي سأنشدها

بيد أنه سواء كنت تبرمجنر أو نهر ثيا فرس (١٥٩) المظفر ، أو تسير بمحاذاة شاطئ الأتلنتي . هل يأتي ذلك اليوم الذي أستطيع فيه أن أروي أعمالك ؟ أفلا يأتي ذلك اليوم الذي أذيع فيه في سائر أنحاء العالم أغانيك الجديرة بحسها بنمال (١٦٠) سوفوكليس (١٦١) ؟

تبدأ أغنيتي بذكرك فتتبدل هذه الأشجار التي عملت بأمرك . وتدع هذه الليلابة تزحف وسط أغصان الغار الظافرة المحيطة بجبينك .

عندما اختفى ظل الليل البارد من السماء ، وعندما يتلذذ القطيع بالندى الملتصق بالحشيش اللدن ، بدأ دامون يغني وقد اتكأ على فرع من فروع الزيتون فقال :

أشرق يا نجم الصباح وتلألأ ، يا من تؤذن بمولد اليوم البهيج . ها أنا أرسل شكواي وقد خدعت في حب رخيص ليس خطيبتي . وبالرغم من أن الآلهة لم تساعدني أحاطبهم وأنا أحتضر على فراش الموت .

فلتبدأ معي يا مزماري تنشد أغنيات مايناليوس .

إن لمايناليوس على الدوام غابات موسيقية وأشجار صنوبرية تتكلم . إنه يصغي دائماً إلى غراميات الرعاة ، وإلى بان الذي بث الحياة في الأعشاب الخاملة .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

لقد وُهبت نيسالمو بسوس ، فماالذى لم نكن نتوقعه نحن معشر المحبين؟ وسرعان ما ستتزوج البجعات الخيول ، وتسعى الغزلان المذعورة مع الكلاب إلى المياه فى العصر القادم .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

اقطع مشاعل جديدة ياموپسوس فإنهم يأتونك بالعروس أيها العريس . انثر البندق فإن نجم المساء يترك(١٦٢) أويتا(١٦٣) من أجلك .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

لقد زُوِّجت من رجل كفء فى حين أنك تمقتين الجميع وتكرهين مزمارى وعنزاتى ، وحاجبى الأشعث ولحيتى المرسَلة وتزعمين أن الإله لا يهتم بأمور البشر .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

لقد رأيتك صغيرةً تقطفين التفاحات الندية مع أمك فى بستاننا ، لقد كنتُ أحرسك يوم أن كنتُ أستقبل العام الثانى من عشر عمرى ، وصرتُ قادراً على لمس الأغصان الطرية من الترية . نعم رأيتك فخارت قواى وألمَّ بى جنون عميت .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

الآن أعرف ما الحب ، ذلك الصبى الذى أنجبته فوق الصخور الصلبة تماروس(١٦٤) أو رودوبى(١٦٥) أو الجارامانتيس(١٦٦) البعيدون جداً فما كان من عنصرنا ولا من دمنا .

فلتبدأ معى يامزمارى تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

لقد علّم الحبّ العديم الرحمة الأم[١٦٧] كيف تلطخ يديها بدماء بنيها.
لقد كنتِ أنت كذلك عديمة الرحمة أيتها الأم . هل كانت الأم أكثر بعداً عن الرحمة أم كان ذلك الصبي أشد قسوة ؟ لقد كان قاسياً ، وكنت أنت أيضاً أيتها الأم ، مجردةً عن الشفقة والحنو .

فلتبدأ معي يامزماري تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

ليهرب الذئب الآن أمام الخراف ، ولتحمل أشجار البلوط الصلبة تفاحات ذهبية ، ولتُخرج الحورة الرومية أزهار النرجس ، ولتثمر أشجار الإثل عنبراً ثميناً من لحائها ، ولتتنازل البوم البجعات . وليصبح تيتيروس[١٦٨] أورفيوس فيكون هناك أورفيوس في الأحراش وأوريون[١٦٩] وسط الدلافين !

فلتبدأ معي يامزماري تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

فلتصبح جميع الأشياء محيطاً متوسطاً ! وداعاً أيتها الأحراش! فسألقي بنفسي من على قمة أحد الجبال الشاهقة إلى وسط الأمواج المتلاطمة .

فلتكن هذه آخر هداياي المميتة إليك .

كفّ يامزماري ، كفّ الآن عن أغنية ماينالوس .

* * *

هكذا قال دامون، خبرني ياعرائس بيريا عما أجابت به ألفيسيبويوس لأننا لا نستطيع فعل كل شيء .

ألفيسيبويوس

انثنى بماء وتوّجى هذه المذابح بصوف ناعم ، وأحرق أعشاباً ثمينة وبخوراً كى أحاول عن طريق السحر أن أجعل النار تتأجج بين جوانح حبيبى الخامده ، ولا ينقصنا هنا سوى الأغانى .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه ياأغنياتى !

تستطيع الأغانى أن تهبط بالقمر من السموات ، وبواسطة الأغانى مسخت كيركى(١٧٠) رفاق أوليسيس(١٧١) . لقد انفجر الثعبان الرطب وسط الرياض بأغنية .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه ياأغنياتى !

هاهى ثلاثة خيوط ألفهاحولك أولا ، وهى تتميز بثلاثة ألوان مختلفة . كما أنى أسحب تمثالك وأدور به ثلاث مرات حول هذه المذابح . فالأعداد الفردية تسر السماء .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه ياأغنياتى !

أنسجى يا أماريلس ثلاثة ألوان فى ثلاث عُقَد ، أنسجيها بربّك ياأماريلس وقولى « إنى أنسج قيود الحب » .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه ياأغنياتى !

هل لدافنس أن يذوب حبّاً فىّ كما يتصلب هذا الطين وكما يذوب هذا الشمع بنفس النار ! ذرّى الطعام وأشعلى أغصان الغار اللدنة فإن دافنس القاسى يكوينى بنيرانه . وإنى أحرق غصن الغار هذا من أجل دافنس .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحاضرنه ياأغنياتى !

فليبتل دافنس بحب كالذى تبتلى به العجلة عندما تخور قواها بحثاً عن عشيقها وسط الأحراش والمغارات البعيدة الغور ، فتنكفىء وتسقط على الحلفاء الخضراء بجانب مجرى ماء ، وقد غاب عن وعيها كل شىء فلا تفكر فى العودة قبل أن يحل ساعة الليل المتأخرة . فليبتل بحب كهذا ، ولأهملن فى تبرئته منه !

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه يا أغنياتى !

لقد خلف لى هذه الملابس ذات يوم ذلك الخائن لتكون رهينة عزيزة لشخصه ، والآن إنى أكرسها لمستبقى أيتها الأرض، إنى أكرسها لك . إن هذه الرهائن تجعل دافنس من حقى .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه يا أغنياتى !

لقد انتقى لى هذه الأعشاب وهذه السموم من بنطوس ، وأعطانى إياها مويرس(١٧٢) نفسه . إنها تنمو بكثرة فى بنطوس ، وكثيراً ما رأيت مويرس يتحول بواسطتها إلى ذئب ويختفى فى الأحراش . وكثيراً ما نادى الأرواح من أعماق القبر و نقل القمح المزروع فى حقل إلى حقل آخر .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه يا أغنياتى !

احملى الجذوات يا أماريلس والقى بها من فوق رأسك إلى نهير مياهه جارية دون أن تنظرى إلى الخلف . سأهاجم دافنس بهذه الطرق فهو لا يأبه بالآلهة أو بسحر الأغنيات التفاتاً .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرنه يا أغنياتى !

انظرى، إن الدردار، وكنت أتباطأ فى حمله ، يشتعل من تلقاء نفسه وقد لحقت نيرانه المتأججة بالمذابح . لتكن هذه بشرى خير ! لست أعلم حقيقة الأمر ، وها هى هيلاكس (١٧٣) تعوى عند الباب . أيمكننى أن أصدق عينى ؟ أم هل يتخيّل المحبون أحلامهم ؟

كفى . إن دافنس يأتى من المدينة إلى البيت ، كفى الآن يا اغنياتى !

الأنشودة التاسعة

ليكيداس: إلى أين تسعى يا موريس؟ أإلى المدينة كما يقود الطريق؟

موريس: ليكيداس، لقد عشنا لنرى اليوم — شر ما حلمنا به فى حياتنا — الذى قال فيه شخص أجنبى أحتل مزرعتنا الصغيرة «هذه المزرعة ملكى!، إليكم عنى أيها المستأجرون القدماء».

والآن حيث قد هزمنا وتملكنا ذعر مقيم، مادام الحظ يحكم الجميع، فإننا نرسل إليه هذه الجداء، فلتذهب معها لعنتنا!

ليكيداس: لكننى سمعت حقيقة أن مينالكاس أنقذ كل البلد وكل شىء بأغانيه، من حيث تبدأ التلال فى النهوض إلى حيث تغرب قممها فى انحدار لطيف إلى المياه والشواطىء القديمة.

موريس: سمعتَ؟ إذن فقد انتشرت الرواية. ولكن أغانينا يا ليكيداس تنتصر وسط أسلحة الحرب بقدر ما تنتصر حمامات الخاونيين(١٧٤)، كما يقولون، عندما يأتى النسر. لذا، إذا لم يكن قد حذّرنى غراب على يسارى كان على شجرة البلوط الخاوية، أن أقصر كل عراك جديد بقدر استطاعتى، فما كنتُ أنا أو مينالكاس نفسه على قيد الحياة الآن.

ليكيداس: واحسرتاه، أيمكن أن يذنب أحد بجريمة كهذه؟ وا أسفاه، أيمكن يا مينالكاس أن تكون سلوى أغنياتك قد نُزِعت منا

ومنك تقريبا ؟ من سيترنم بالحوريات؟ من سيبذر الأرض بالأعشاب المزهرة أو يحجب الينابيع بالظل الأخضر؟ أو تلك الأغانى التى تصيدتها منك بدهاتى ذلك اليوم عند ما كنت ذاهبا إلى أماريلس العزيزة ؟ « تعهد عنزاتى ياتيتيروس ، حتى أعود فإن الطريق قصير ، وبعد أن ترعى سقها إلى الماء ياتيتيروس ، ولكن حذار أن تمر بطريق التيس وأنت تسوقها لأنه ينطح بقرنيه » .

موبرس : بلى ، لم تنته هذه الأبيات بعد ، وكذلك الأبيات التى أنشدها الفاروس . «فاروس، ستحمل البجعات المغنيات اسمك عالياً إلى النجوم ، إن فقط تستبقى لنا مانتوا ، مانتوا ، واحسرتاه ، القريبة جداً من كريمونا التعيسة » .

ليكيداس : كما تتجنّب أسرابك شجر الأشكل الكورسيكى ، وكما تأكل العجول البرسيم وتسمن أضرعها . ابدأ لو كان عندك ماتغنيه . وأنا كذلك قد جعلتنى العذارى الپيبريات شاعراً وعندى أغنيات أيضاً . وكذلك يسمينى الرعاة شاعراً ، غير أنى لا أثق بهم . لأنى أعتقد أننى حتى الآن لا أستطيع أن أغنى مايليق بفاريوس[١٧٥] أو كنّا[١٧٦] بل أنعق كأوزة بين بجعات مغنيات .

موبرس : ذلك ما أسعى إليه ياليكيداس ، فى صمت وأنا أفكر فى الأمر ملياً ، علنى أستطيع أن أستذكرها . إنها ليست أغنية وضيعة .

« هلمى إلىّ يا جالاتيا ! أى لهو يمكن أن يكون فى الأمواج هناك ؟ هنا ربيع مورد ، هنا بجانب الأنهار تنثر الأرض أزهارها المختلفة ، هنا تميل شجرة الصنوبر البيضاء على الكهف ، وتنسج الكروم المملقة عروساً

مظللة . هلمى إلىّ ، دعى الأمواج الصاخبة ترتطم بالشاطىء » .

ليكيداس : ما رأيك فى الأبيات التى سمعتك تغنيها وحدك فى الليل الصافى ؟ أتذكر الوزن ، لو كنت أنا أحفظ الألفاظ ؟

مويرس : « لماذا تحملق فى النجوم القديمة المشرقة يادافنس؟ أنظر هاك نجم قيصر ، نسل ديونى، قد تقدّم من النجم الذى يبعث الفرح إلى الحقول بالقمح ، ويعطى للعنب لونه الأدكن فوق التلال المشمسة . ضع رماحك فى أغمادها يادافنس فإن أحفادك سيجمعون ثمارك » .

يسلبنا الزمن كل شىء حتى الذاكرة ، أتذكّر أنى كنت فى صباى أقضى دائماً أيام الصيف الطويلة فى الغناء . أما الآن فقد نسيت كل أغنياتى ، حتى الصوت نفسه يعوز مويرس الآن . لقد رأت الذئاب مويرس أولا ، ولكن ميناالكاس مع ذلك سيتلو عليك أغنياتك كلما أردت .

ليكيداس : إنك تبعد عنى أشواقى بمعاذيرك . إن البحر كله هادىء ساكن، انظر فامنحة للنسيم تتناوح علينا ،ومن هنا يتبقى نصف رحلتنا، فإن قبر بيانور يظهر للعين الآن ، فلنغن هنا حيث يشذب الفلاحون أوراق الأشجار الكثيفة . هنا تضع الجداء يامويرس — فعلى أية حال سنصل إلى المدينة . أو إذا كنا نخشى أن يلحقنا الليل بحجافله السوداء ، أو تهطل علينا الأمطار ،فيمكننا أن نغنى ونحن نسير فى الطريق — فهذا يجعل الطريق أقل مشقة ، فإن سرنا وأنشدنا فى طريقنا سأحمل عنك هذا الحمل .

مويرس : لا تقل ماهو زيادة على ذلك أيها الصبى ، دعنا الآن فى العمل الذى بين أيدينا . سننشد أغنياتنا أحسن من ذلك عندما يأتى السيد نفسه .

الأنشودة العاشرة

هذا هو عملي الأخير يا أريثوسا(١٧٧) ، فامنحيني إياه ! يجب عليّ أن أنشد بعض الأغاني لجالوس من النوع الذي تستطيع ليكوريس نفسها أن تقرأه ! مَن ذا الذي يضنّ على جالوس بأغنيه ؟ فلتبدأ إذا كانت دوريس المالحة لا تخلط مجراها معك عندما تنزلق تحت الأمواج الصقلية . فلترنم بغراميات جالوس القلقة بينما ترعى العنزات ذات الأنوف العريضة ، الأعشاب الطرية . لسنا نغني لآذان صماء ، فالغابات تردّد صدى كل نغمة .

أي الأحراش وأي السبل كنتن تسكنّ أيتها النياد العذارى عندما كان جالوس يذوي بحب حقير ؟ لم تمنعكن قمم پارناسوس أو پندوس ، أو حتى أجانيپي الأونية لقد بكته أشجار الغار وكذا أشجار الإثل . وقد بكى من أجله مينالوس المتوج بأعصان الصنوبر وهو مستلق تحت صخرة منعزلة ، وكذلك صخور ليكيوس الجليدية . إن الأغنام أيضا تحيط بالمكان ولا تخجل منا ، كما لا تخجل من القطيع ، أيها الشاعر المقدس . فقد كان أدونيس الجميل يرعى الأغنام بجانب الأنهار .

لو أتى الراعي وكذلك قطعان الخنازير ببطء . وجاء مينالكاس يرشح ماءً من ثمار البلوط الشتوية . فيسأله الجميع « من أين جاء حبيبك هذا؟ »

لقد جاء أبولو ، فقال « أى جنون هذا يا جالوس ؟ » « إن معشوقتك ليكوريس تسعى وراء آخر بين الثلوج والمعسكرات الموحشة » . ها قد جاء سلفانوس يتوج جبينه المجد الريفى ، وهو يلوّح بأزهار الشمار وأزهار الزنبق الطويلة . لقد أتى بان رب « أركاديا » ورأيناه بعيون رؤوسنا محمراً بالزنجفر والتوت الأحمر وكان يصيح قائلاً « ألن تكون هناك نهاية ؟ إن الحب لا يهتم بشىء من هذا ، فلا يكتفى الحب القاسى بالدموع ، ولا الحشيش بالجداول ، ولا النحل بالبرسيم ولا العنزات بأوراق الأشجار » .

بيد أن جالوس أجاب فى حسرة وأسى « ومع ذلك فإنكم معشر الأركاديين ستنشدون هذه الأسطورة لجبالكم ، إن الأركاديين وحدهم هم الذين يعرفون كيف ينشدون آه على الراحة التى تحظى بها عظامى ، لو كانت مزاميركم يوماً ما تروى أقاصيص حبى ! ليتنى كنت أحدكم ، أرعى أحد قطعانكم ، أو أشذّب عراجين العنب الناضجة ! حقا ، لو أن محبوبتى هى فيلس أو أميناس ، أو أى فرد آخر — وماذا يضير لو كانت أميناس سوداء ؟ فالنرجس نفسه كذلك أسود ، وكذا العيسران — لرقدت محبوبتى بجانبى وسط الصفصاف تحت الكرمة الزاحفة ، تتلقى لى فيلس الأكاليل « وتنشد أميناس الأغانى . هنا توجد ينابيع باردة يا ليكوريس ، هنا مروج منبسطة ، هنا أحراش ، هنا بصحبتك لا يفنينى سوى الزمن ، ولكن حبّاً جنونيا لمارس الظالم يحملنى الآن تحت السلاح وسط الآلام الحربية والأعداء الأبطال ، فى حين أنك وأنت بعيدة عن وطنك — ليتنى ما كنت أصدق مثل هذه الرواية —

تتطلعين أيتها القاسية إلى ثلوج الألب وصقيع الرين ، نائية عني ، بمفردك . ألا ليت الثلوج لا تضركِ ، ألا ليت الجليد الخشن لا يؤذي قدميك الرقيقتين !

سأرحل ، ولسوف أعزف الأغاني التي وضعتها في نظم خالكيدي، على مزمار راعٍ صقلي . إني أعلم يقيناً أنه في الأحراش وسط أوكار الحيوانات المفترسة ، يستحسن أن أغني حبي وأبوح به على الأشجار الصغيرة ، فسوف تنمو هذه الشجيرات وكذلك أنت يا حبيبتي ، وفي الوقت عينه سأجوس مع الحوريات خلال مينالوس أو أصيد الخنازير البرية . وان يقعدني صقيع عن محاصرة ممرات پارثينيوس بكلابي . فلغاية الآن يخيل إليّ أني أمر فوق الصخور والمغارات المدوية ، وإنه ليسرني أن أصيب سهاماً كيدونية من قوسي البارثية كأنما هذا العمل يشفي غليلي ، أو كأنما ذلك الرب يستطيع أن يتعلم الرأفة بأحزان البشر !

الآن إنها، ادريادس لا تسرني ولا حتى الأغنيات ، وداعاً مرة ثانية . حتى أنتِ أيتها الأحراش ! فليس لعملٍ من أعمالنا أن تغير ذلك الإله ، حتى ولو شربنا الهيروس في قلب الشتاء، وتحمّلنا الثلوج التراقية وأمطارها الشتوية ، حتى ولو سقنا الخراف الأثيوبية هنا وهناك تحت النجم الكلكر ، عند ما تموت اللحاء ويذبل فوق شجرة الدردار العالية ! إن الحب يقهر كل شيء ، فلنرضخ نحن أيضاً للحب ! »

ستكفي هذه الأغنيات يا ربات الفن المقدسات ، تلك التي أنشدها شاعركم وهو جالس متكاسل ينسج قفصاً من الخطمية الرفيعة . لا شك

فى أنكن ستجعلن لها قيمة عظيمة فى نظر جالوس — جالوس هذا الذى ينمو حبى له ساعة بعد أخرى بالسرعة التى تنمو بها الحورة الخضراء فى فجر الربيع فلننهض إذ أن الظلال دائماً تجلب الأخطار للغتين . إن ظل العرعر يجلب الأخطار . كما أنّ الظل يؤذى القمح أيضاً هيّا إلى البيت يا عنزاتى الممتلئة بالطعام — لقد أتى نجم المساء الذى يؤذن بالمبيت ! .